

اليومي وإشكالية الحياة 2

3 - الحياة اليومية ومسألة العملي

يعد الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط** أول فيلسوف ينتقد الميتافيزيقا نقدا جذريا، وهذا ما واكب موجة تطور العلوم والتكنولوجيا، إضافة إلى التحولات الفلسفية الأمبريقية التجريبية، حيث لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل حتى الإضافات التي أضافتها فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر ، نقلت العقل العملي من ميدان الخرافات والأوهام إلى مجال اليقين والدقة والمطلقة، فأصبحت مسائل الحياة اليومية بعد نقد كانط تسير في نهج الممارسة والتطبيق، حيث وضع **كانط** حدوده وملكاته وشروطه تعاشر العلوم والأفكار كما تعاشر الحياة اليومية . إن مهمة الحياة اليومية في ذلك هي خدمة الإنسان وتحريره من أوهام الواقع، وتحرير الإنسان بعد التفكير في وضعيته وفاعليته ونشاطه . لأن الفلسفة بعد مرحلة التنوير أعلنت صراحة موت المورائيات والميتافيزيقا .

لقد كان لمشروع **ايمانويا كانط** في نقده للميتافيزيقا إيذان بميلاد جديد لنزول العقل صوب البحث عن أساس جديد غير موجود في فلسفة الحياة القديمة ، ألا أنه لم يتحقق مقصده إلا مع فلسفة الالتزام ، تلك التي تجبر الإنسان على الاهتمام الكامل بوضعيته والبحث عن سبل تغييرها . لكن بعد موت كانط جاءت حركة الرومانطيين الذين أعادوا بعث فلسفة الحياة اليومية من جديد، حيث برز **هيجل** الذي نادى بضرورة العودة إلى الواقع العيني ، واقتحام الروح المطلقة ، ومعرفة المطلق ، محاولا تجاوز الفكر النقدي الكانطي ، الذي هو عودة إلى المسيحية باعتبارها نهاية التاريخ في الدولة المطلقة في نظر **هيجل**، وقد يكون فيها الإنسان مطلقا حرا . وهذه الفكرة بالذات نجد لها نظير في فلسفة القديس **أوغسطين** في فكرة مدينة الله التي هي عنوان كتاب له .

فالعقل النظري والعقل العملي هما سيدا التفكير والعقلانية الصارمة والمفتوحة ركيزة الأنوار في نظر هيجل .

لقد وجهت فلسفة كانط لهذه العقلانية نقدا يحدد موضوعها وميدانها وشروطها وإمكانها، ومع ذلك بدأت الحضارة الغربية تعيش أزمته بما حملته من مساوئ على الإنسان من موت ودمار وغيرها . وبدأت الفلسفة الهيجلية تعيش غطرسة وهي التي عرفت بغطرسة المعرفة على الحياة . غير أن صرخة نيتشه (1844-1900) في النصف الثاني من القرن العشرين والشك في قيمة العقل معتبرا إياه عدو للحياة ، غير أن ما تدركه فلسفة الحياة هو أن العقل كآليات عملية ونظرية وما يحمله من قيم عامة وأخلاق وعدالة ... وغيرها تتأسس في النهاية على الأمن في الحياة والجنة وخيراته في الآخرة .

هكذا يفقد الإنسان حياته ليضحى بها من أجل هذا الأمن المزعوم، بل يدمر ما يجعل منه إنسان حي يعيش حياته برغبة قوية وبقدرة على الخلق والإبداع وحرية القرار والإرادة .

تبدو الفلسفة على أنها تشخيص للواقع الذي يعيشه الإنسان من كل زواياه، ليتمكن التعرف على الخصائص والمميزات التي يكتنفها هذا الواقع، حتى يتسنى للإنسان إصلاحه أو إضفاء أشياء جديدة عليه، حتى يبدو مغايرا لما كان من قبل يقول فتحي التريكي في كتابه الفلسفة الشريفة : « وما الفلسفة الآن إلا عملية تشخيص Diagnostic للواقع المعاش، ومعالجة أمراضه، مع بيان خصائصه ومميزاته، حتى تتمكن من إصلاحه إن لزم ذلك، أو من تغييره إن لزم التغيير».(1) فعندما نتأمل مهمة الفلسفة في سياقها الراهن، فنجد أن هدفها الأسمى هو تأمل الإنسان في الحياة، وأن

(1) - فتحي التريكي : الفلسفة الشريفة ، مركز الإنماء القومي ، لبنان ، ص 7 .

قضايا الحياة هي معيار تطور الفلسفة من عدم تطورها . ليصل الإنسان في نهاية المطاف إلى معرفة نفسه والإجابة عن مختلف الأسئلة الجوهرية من أنا؟ ومن أكون؟ وكيف ينبغي أن أحيأ؟ ... وهذه الإشكاليات الحياتية تفرض على الإنسان معرفة قيمة الحياة وعناها . لأن التفكير في قضايا الحياة والتأمل في تجربة الحياة وحتمية الموت هو سبيل لمعرفة قيمة الحياة، وما جوهر حياة الإنسان إلا الحفاظ على الحياة وإعطائها قيمة، ليتسنى للإنسان وضع دينامية خاصة ينبغي أن يحيا بها، باحثا عن سبل تطوير الأفكار التي يكتنفها الوجود الإنساني والحياة السعيدة .(2)

4 - فلسفة الحياة وإشكالية الحاضر

إن من ضروريات التفلسف هو إرساء مبادئ تعلم كل الفضائل، النظرية منها والعملية دون إقصاء للعقل أو تمييزه أو تجزئته . حيث كان يعتقد كل من الفيلسوف اليوناني ارسطو والفيلسوف العربي الفارابي أن الفلسفة التي لا تشتمل على كل الفضائل هي فلسفة بتراء ، والفيلسوف الذي يحصل على العلوم النظرية غير كاملة فيلسوف باطل، والفيلسوف البهرج هو الذي يتعلم العلوم النظرية ولم يعد الأفعال الفاضلة أو الأفعال الجمالية . فهو فيلسوف باطل في نظرهم لأنه يبقى حبيس شهواته وميوله ورغباته . لذا يجب أن تحصل له العلوم النظرية والعملية، أي الفضائل النظرية ثم العملية . فالفيلسوف البهرج لا يعير اهتمام للمجالات العملية والاجتماعية ، لأنه يترفع عن الخوض فيها وفي مجالاتها . إذ يبقى رهين الأفكار المجردة والتصورات المتعالية دون ربطها بحاجات الإنسان . بل فلسفة الحياة تفرض على الإنسان النزول إلى القضايا التي يطرحها رهن الحياة اليومية والتعامل معها بصدق وحنكة للبحث عن الآليات التي من شأنها إيجاد الحلول لإشكاليات الحياة . فالبهرج

(2) - جون كولر : الفكر الشرقي القديم ، ترجمة : كامل يوسف حسين، مراجعة : امام عبد الفتاح إمام ، المجلس الوطني للثقافة

يهيمن في المجال الفلسفي والفكري، وذلك بصياغة أفكار فلاسفة كبار دون ربط هذه الأفكار بالواقع الذي يعيشه الإنسان . غير أن الذي يوجه الأفكار صوب الحياة العملية هو في نظر الفيلسوف البهرج سوى مفكر لا غير .

إن عدم قدرة الفيلسوف على التأثير الحقيقي في المجتمع هو ما جعل منه بهرجا ، لأنه يحتقر العامة ويتوجه إلى خاصة الخاصة ، حيث يعيش تحت وابل النظريات الكبرى محاولا فهم جزئياته من دون تأثير مباشر على الأحداث . لكن ما هو معروف عن الفلسفة هي تشخيص لواقع الإنسان ومقتضياته، وهذا ما يتوافق مع ما ذهب إليه الفيلسوف الفرنسي **كانغلام** (1904 - 1995) في قوله أن خدمة المفاهيم هو فهمها ونقلها واتخاذها نموذجا . فالفلسفة هي ربط هذا التشخيص المتعلق بالواقع المعيش بإمكانية التغيير والإصلاح بحثا عن سعادة الإنسان القصوى . والفلسفة النظرية لا غاية لها ما لم ترتبط بالهم اليومي والايطيقا والأخلاقيات ، وإن لم تحتضن الانثروبولوجيا . فالانثروبولوجيا مجالا علميا يرتبط فيه النظر بالعمل خدمة لمساعدة الإنسان وفهم جوهر الطبيعة الإنسانية . وفي ذلك يقول **محمود حمدي زقزوق** : « إن الفلسفة بصفة عامة ليست منعزلة عن حياة الناس، فهي للحياة ومن أجل الحياة ... وكل فلسفة لا تعمل على تنمية الحياة تعد فلسفة محكوما عليها بالفشل . ومن المعلوم أيضا أن الفلسفة تعتمد على العقل الإنساني وبناء الإنسان لا يتصور بدون عقل ، ومن هنا فإن تأكيد دور العقل في المجتمع وحماية هذا العقل وصيانته من كل ما يعكر صفوه وتنميته والارتقاء به من شأنه أن يساعد على بناء الإنسان المعاصر بناء سليما ».(3)

5 - نماذج من فلسفة اليومي المتعلقة بإشكالية الحياة

(3) - محمود حمدي زقزوق : ما الذي يمكن أن تقدمه الفلسفة الإسلامية لبناء الإنسان؟ ، في : جريدة الاهرام ، العدد 40303 ،

أ - سقراط :

ب - السفسطائيين :

ج - أفلاطون :

د - الديانات السماوية :

هـ - الفلسفة التشاؤمية عند شوبنهاور :

و - نيتشه :

ز - جون بول سارتر :

ح - لودفيغ فيتغنشتاين :